الصياح فى الوديان..

مجموعة قصصية

عنوان الكتاب: الصياح فى الوديان

المؤلف: حسن البنداري

الناشر: مكتبة بورصة الكتب للنشر والتوزيع

لوحة الغلاف: للفنانة : زينب السعودى

الناشر

بورصة الكتب

مكتبة

بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٢٥ شارع شريف- القاهرة

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣- ٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٨٧٦٣

الترقيم الدولي: 978-977-5016-41-6

حقوق الطبع محفوظة

حسن البنداري

الصياح فى الوديان..

(مجموعة قصصية)

الطبعة الأولى

٢٠١٣

الناشر

بورصة الكتب

بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣- ٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

- ٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ - ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الايداع : ٢٠١٣/٨٧٦٣

الترقيم الدولي: 978-977-5016-41-6

البنداري، حسن.

الصياح في الوديان: قصص / حسن البنداري. -ط١.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع،٢٠١٣ .

١٨٠ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٦-٤١-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

١-القصص العربية القصيرة.

أ-العنوان.

مقدمة

مقدمة

هذه المجموعة القصصية..

تحتوى هذه المجموعة القصصية على ثمان قصص قصيرة ، اثنتان منها (فى الميدان) و(مطاردة) كتبتهما فى عامى ٢٠١١ و٢٠١٣.

أما القصص الأخرى وعددها ست قصص فقد كتبتها بين عامى ٢٠٠٧ و٢٠١٠ . وقد استثمرتها فى روايتى (حدائق الخريف) الصادرة عام ٢٠١٢ .

حين فكرت فى إصدار هذه المجموعة رأيت أن تلك القصص الست تعبر عن مواقف متكاملة مستقلة لا يرتبط بعضها ببعض كما هو الشأن عندما استثمرتها فى رواية حدائق الخريف ، حيث ارتبطت جميعاً بحركة منظورة للشخصية المركزية فى الراوية ، بينما جمع تلك القصص الست رابط واحد غير منظور لا يغيب عن فطنة القارئ .

القنـاع ..

القنـاع ..

استقل سيارته المارسيدس الزرقاء وتهادى بها نحو البوابة الخارجية لڤيلاّ "ڤينوس". لم يحول رأسه إلى الشرفة العلوية العريضة كي لا يرى فدوى والبنات الثلاث. لا يجب أن ينشط بداخله الشعور باللوم ، لأنه سبب لهن الأسى والقلق. يحب فدوى، ويحب البنات، ويدرك أنهن يحملن له الحب والاعتزاز ومشاعر الاحترام. ڤيلاّ "ڤينوس" يسودها السلام،

ويرفرف فوقها طائر الحب والوئام؛ لم يفكر طوال عشرين سنة أن يؤذي مشاعر واحدة منهن، ولا قصد أن يربك حياتهن، لولا أنه وبتشجيع من أصدقائه أراد أن يكون له ولد.

-من سيحكم هذه الشركة التي اتسع نشاطها بفروع في طنطا وشبين والإسكندرية وأسوان؟. من سيتولى من بعده هذه الشركة إلا ابن من صلبي أمنحه أموالي وخبرتي؟.. "قال مدحت الألفى: ونحن نجلس بحديقة النادي الأهلي بمدينة نصر:

- رأيي أن تتزوج ليكون لك ولد.
- تفتكر فدوى توافق وترضى؟.
- فدوى مثقفة ولن تعترض.
- ربما يثمر الزواج عن بنت.
- عليك أن تحاول وتحاول حتى تحصل على الولد.. حتى لو تزوجت ثالثة ورابعة"..

(٢)

اقترب من ضاحية الرحاب بفكر واهن وقلب حزين. في عينيه فدوى والبنات الثلاث فى التجمع، وناهد السبكى فى الرحاب، ومنار القاضى فى الشروق: لفتت ناهد السبكى نظره. سطعت فوق مجموعة سكرتارية الإدارة الرئيسية. المجموعة تضم ثلاث فتيات وأربعة شبان. اخترت أجملهن. اخترت ناهد السبكى لتكون سكرتيرتى.. سكرتيرة رئيس مجلس الإدارة "وجيه الدمنهورى". أتذكر أننى عندما تحدثت معها عند اختيارى لها أمام زملائها لاحظت أن أحدهم: تامر العطار قد اكتأب وتوتر وأطرق فى الأرض. أحسست لحظتها أنه محب لها، وربما كان على علاقة بها، لكننى واصلت اتخاذ القرار، فصارت ناهد السبكى سكرتيرة خاصة بمكتب ملحق بمكتبى..

واصل اقترابه من الرحاب وبأذنيه صوت الألفى يحرض على الزواج من ثالثة ما دامت الثانية لم تمنح الولد. هل يمكن أن تعطيني منار القاضى ما أرغب وأتمنى وأريد؟.. منار ابنة زكريا القاضي وكيله بفرع طنطا: "رأيتها مرة في

زيارة والدها بالمعرض فعلق بها قلبى. في الخامسة والعشرين في عمر ريهام ابنتى. يبدو أن الوالد فهم نظرتى إليها فشجع، ودعانى إلى تناول الغداء في منزله بشارع معاوية بضاحية طنطا الجديدة ، خطبتُ منار عقب الغداء. سارع الجميع إلى الموافقة.. أثّرت منار بشبابها وقوامها الرشيق ونظراتها الطيبة الحانية، فاستبشرت خيرًا. وقلت مع شرب الشاي:

- على بركة الله يمكن أن يكون الزفاف الخميس بعد القادم، والمسكن ڤيلاّ الصباح بالشروق.

لم يعارض أحد، ولم يتحفظ. قبل الجميع ووافقوا، وأبدت منار سعادتها وأنا أقول موجهًا إليها الكلام:

- ڤيلاّ "الصباح" جميلة وتنتظرك يا منار، وتحت تصرفك سيارة مارسيدس..

أقمت حفل الزفاف بقاعة الجوهرة على مشارف طنطا.. ولاحظت شاباً عرفت أنه مهندس وابن خالة منار. كان ينظر إليها ويتابع تحركاتها طول الوقت"..

ها أنت قد أضفت إلى فدوى الطيبة "ناهد" الجميلة ولم تنجب حتى الآن، ومنار الحانية ولم يحدث حمل حتى الآن. والمشكلة أنك موزع بين المساكن الثلاثة. أي طاقة؟! وأي جهد؟! وأي عدل؟! وأي استقرار؟!. الزوجات الثلاث ينعمن بالطمأنية والاستقرار. وأنت طوال الأسبوع تتنقل ما بين التجمع والرحاب والشروق..

(٣)

انفتح باب ڤيلاّ الريحان الخضراء بيد الحارس عمران الجرجاوى. تقف بالقرب من باب غرفته زوجته فتحية. لديهما ستة. أربعة ذكور وبنتان. لا يدخل الڤيلاّ إلا فتحية عندما تحتاج إليها الست ناهد، والسائق لا يأتي إلا في الصباح إذا طلبته للتسوق أو قضاء مصالح أو الذهاب إلى السوبر ماركت..

لاحظ وجيه الدمنهورى أن وجه الحارس عمران تعلوه الكآبة. من شهر تقريبًا يرى عمران مكتئبا وغير مبتسم. ونظراته

حائرة وغير مستقرة. كم فكر وجيه فى أن الحارس يريد أن يفصح عن أمر جلل لكنه سرعان ما يتراجع. ماذا حل بعمران الجرجاوى؟!..

أوقف وجيه السيارة فى موقفها أمام الباب الداخلى للڤيلاّ الخضراء اللون. شعر بانقباض قلبه حين همّ بالدخول. التفت إلى الحارس عمران فرآه لم يغادر مكانه: هل يتوقع أن يدعوه وجيه بك للكلام؟..

تحول عن الباب الكبير. لم يدخل.. مشى إلى وسط الحديقة قاصداً المنضدة الدائرية المحاطة بأربعة مقاعد. قبل أن يجلس فى المقعد الأوسط أشار إلى عمران بالمجىء. لبّى عمران بسرعة وأسرع إلى المجلس الدائرى.. وقف أمام وجيه قليلاً إلى أن طلب منه الجلوس فجلس لاهث الأنفاس زائغ البصر..

تفرس فى وجهه بعض الوقت، ثم سأله عن أحواله وأسرته هنا، وعن أهله بسوهاج، وعن موعد إجازته الذى

يرغبه للسفر إلى البلد.. ثم صمت قليلاً وقال بهدوء يستحثه على الكلام:

- عندك كلام يا عمران، تحب تقوله لى؟.

تردد عمران لدقائق ثم قال:

- عندى.. لكن ربما الكلام يضايق سيادتك.

- تكلم.

تلفت حوله ثم همس: بأن زيدان الأسيوطى "بلدياتى" بواب الڤيلاّ رقم (٢٠) أخبرنى بأنه شاهد الهانم منذ شهر تدخل الڤيلاّ عدة مرات، وتبقى فى كل مرة ساعتين، وأن صاحب الڤيلاّ يسكن بمفرده.. ليس له أسرة..

زلزلت الأرض تحت قدميه، وشعر بخجل أمام البواب الصعيدى، لكنه أطرق صامتاً لا يرفع عينيه إليه، بينما واصل عمران الكلام إلى أن سكت.. رفع وجيه رأسه.. حدج عمران بنظرة جامدة وقوية وقال بصوت متزن:

- أشكرك يا عمران. صاحب فيلاّ (٢٠) خال الهانم وعندى علم بزيارة الهانم له من وقت لآخر.

همس البواب بخجل شديد:

- الحمد لله. أنا متأسف جداً. اعذرنى يا وجيه بك.

- بالعكس أنا أشكرك على يقظتك.

نهض وجيه من المقعد ومشى جهة حوض مستدير فى الركن يضم ورداً بيضاء وحمراء سقطت فوقها أضواء أعمدة الإنارة المثبتة فى أركان الحديقة ووسطها المستدير. نظر إلى الحوض بعينين شاردتين. تأمل الورود بفكر مشغول بالخبر الرهيب الذى نزل على عقله كصاعقة. همس لنفسه: تظاهرتُ أمام عمران بأننى أعلم بخبر تكرار زيارة الفيلاّ (٢٠) حتى أحافظ على مكانتى وهيبتى..

انتقل إلى ركن آخر فى الحديقة ليتابع مربع ورود وزهور يشبه ما رأى منذ قليل، لكنه لم يكن يرى شيئاً على

الإطلاق سوى ناهد السبكى التى وضح له أنها تخون. وهمس فى أسى: كنت أشعر طول الوقت أنها ستتغير فى المستقبل. لكن لم أظن أبداً أنها تتغير بالخيانة بهذه السرعة. لم يمض على الزواج منها سوى أقل عام. كيف تخونين وقد منحتك الاسم والجاه والمال؟!..

قال بصوت سمعه: بعد أقل من عام خانت، وربما تقابلا فى غرفة نومى. لكن لا يمكن التسليم التام بكلام عمران. ربما يكون ما سمعه وشاية منه وافتراء عليها.. لابد من التأكد. الاتهام خطير ومدمر وفاضح. ليست ناهد السبكى من الغباء حتى تواصل الخيانة فى ڤيلاّ قريبة.. لابد من المراقبة قبل المواجهة. لابد..

اتجه إلى باب الڤيلاّ فانفتح على ناهد السبكى وهى جالسة فى فوتيه بوسط الصالة الوثيرة. جميلة بديعة التكوين. ترتدى الروب الأحمر.. تعرف أنه يفضله. نهضت واندفعت نحوه تعانقه، فبادلها العناق. لم يتحدث عما سمعه وعرفه.

وبدلاً من أن يذهب كالعادة إلى غرفة الملابس لتبديل ملابسه -قصد غرفة مكتبه قائلاً:

- سأكون معك بعد ربع ساعة.

حين استوى على المقعد المريح الوثير أمسك سماعة التليفون وأجرى اتصالا بنضال الكاشف. مخبر خبير فى التحريات. طلب منه موافاته بعد ساعتين فى الثامنة -بمكتبه بمعرض الطيران بمدينة نصر. بعد أن أغلق السماعة نهض وغادر الغرفة. رآها مازالت جالسة فى الفوتيه. أخبرها بأنه خارج لأنه على موعد مهم طارئ بالمكتب، ثم قال بسرعة:

- ربما أتأخر. عليك أن تنامى أو تشغلى نفسك بأى شىء.

(٤)

وصل إلى المكتب فى الموعد المحدد الثامنة. سبقه بدقائق المخبر الخبير.. أفضى إليه دون تردد بأنه يكلفه بمراقبة زوجته مراقبة دقيقة من الآن، وأعطاه ورقة بها عنوان الڤيلاّ وصورة لزوجته ناهد السبكى، ورقم سيارتها

ولونها، كما حدد فى الورقة رقم التليفون.. وقال بتصميم وهو يودعه:

- أريد مراقبة دقيقة.

من الآن فصاعداً ستكون ناهد السبكى والقيلاً تحت مجهر المراقبة.. وهاهو نضال الكاشف يسرع إلى الخروج محملاً بمقدم الأتعاب وهو كبير، لأداء مهمته الشاقة. أنا لا أعلم ما إذا كان سيستعين بأحد معه. معلوماتى أن لديه مساعدين يجمعون المعلومات، لكن عبء تحليلها يقع على عاتقه وحده. من الآن فصاعداً تبدأ المراقبة الدقيقة التى ستؤكد أقوال عمران أو تنفيها..

اتصل بناهد السبكى من المكتب وأخبرها بأنه لن يتمكن من الحضور إلا ظهر الغد لسفره الاضطرارى الآن إلى الإسكندرية، لمقابلة بعض الوكلاء الأجانب صباح الغد. تظاهرت ناهد بالدهشة وأبدت قلقها، وطالبته بالعودة إليها سريعاً، ثم قالت:

- أتمنى لك التوفيق لكن عد إلىّ بسرعة.

هاهو يسمع فى صوتها نغمة ارتياح لغيابه. يمكنها من الآن إذا كانت تخون أن ترتب مع العشيق.. وسوف يؤدى غيابه إلى حركة متهورة ستكون فى متناول المراقب الخبير.. فهو فى هذا النوع من المراقبة ماهر جبار لا يشق له غبار، بشهادة من كلفوه بمراقبات مشابهة وعددهم غير قليل. نضال الكاشف اسم لا يعرفه إلا الباحثون عن كشف الأسرار..

(٥)

هاهو نضال الكاشف قد عاد من المهمة بعد أسبوعين. دخل "مكتب الطيران" وجلس صامتاً. فتح حقيبة أوراقه وأخرج منها مظروفاً كبيراً. فتحه وسحب منه ورقة بها كلام وتواريخ. كما سحب مجموعة صور ملونة كبيرة، ثم قال:

- تتقابل مع صاحب ڤيلاّ رقم (٢٠) ، وهى تبعد عن ڤيلتك بمسافة ثلاثمائة متر تقريباً..

قرأ الورقة، وشاهد الصور فاربد لون وجهه وامتقع. نهض بحركة تنبئ بانتهاء المقابلة، فقام نضال الكاشف هو

الآخر. تسلم باقى أتعابه عن المراقبة التى يبدو أنها نجحت بدليل التغيير الملحوظ على وجه وجيه الدمنهورى.. غادر نضال المكان بهدوء بينما استوى وجيه فى مقعده..

أعاد قراءة الورقة ثم فحص الصور، صورة صورة.. صورة لناهد السبكى تدخل الڤيلاّ، وصورة يستقبلها صاحب الڤيلاّ، وصورة لهما فى كل من كازينو قصر النيل، وكازينو الشجرة، ومطعم خريستو بالهرم، فى الأيام المخصصة لفدوى ومنار.. يا خسارة! كيف هنت عليك يا ناهد وأنا الذى منحتك الجاه والمال؟!..

(٦)

لم يتصل بزوجته ناهد ليخبرها بأنه فى الطريق إلى الڤيلاّ. اندفع بسيارته التى قادها بنفسه قاصداً الرحاب. فكر فى أنه يجب عليه علاج الأمر فى هدوء وبغير ضجة. سيواجه بالصور المختلفة ويسجل اللقاءات المؤرخة. سيواجه وسينهى الأمر بطلاق أكيد هذا المساء..

حين اقترب من الڤيلاّ اندلع فى عقله خاطر تحذيرى نصحه بأن يلغى المواجهة؛ فهى لا تجدى مع امرأة يعرف

مسبقاً أنها ستتغير وربما ستخون. سوف تتسرب الأخبار ليستغلها خصومك من التجار والسياسين القدامى. هناك من ينتظر أى خبر سلبى عنك للتشهير بك. لذلك يكفى أن تطلّق على يد محاميك..

شعر برغبة فى رؤية فدوى والبنات. عليه الآن أن يغير وجهته إلى ڤيلاّ فينوس، حيث تنتظره فدوى والبنات.. لكنه عدل؛ فكر فى أن يتوجه إلى ڤيلاّ الصباح بالشروق؛ ربما وجد لدى منار ما يخفف من إحساسه بالدهشة والإحباط. لكن مالبثت أن خطرت برأسه صورة ابن خالتها الشاب خريج الهندسة الذى لاحظه يتطلع إليها بحسرة طول الوقت أثناء مراسم الزفاف.. فاشتدت ضربات قلبه، واندفع تيار الدم فى عروقه اندفاعاً سريعاً فشعر بآلام حادة بصدره ورأسه. فأوقف سيارته فى اللحظة التى مالت فيها رأسه إلى الأمام، حيث أسندها وهو يتوجع فوق عجلة القيادة.. وأغمض عينيه..

فبراير ٢٠٠٧

اغتيال ..

اغتيال ..

وقف صابر الزاهد واجماً أول الصف يتلقى العزاء فى زوجته نجية. يجاهد فى السيطرة على إحساسه بالغيظ والقهر، لكنه لا يستطيع السيطرة على داخله الذى يبكى نجية: رفيقة رحلته وعمره وأم أولاده التى قتلت أول أمس بصدْم سيارته من الخلف فانقلبت بهما وهما عائدان من الإسكندرية بالطريق الصحراوى..

يتوالى المعزون للتعزية. تسبق أيدى بعضهم أحاسيس الحزن والأسف؛ فالوفاة ليست "بقضاء وقدر": ماتت نجية

بحادث مروع بالطريق الصحراوى أول أمس.. كان القاتل يستهدف صابر الزاهد، المناوئ البرلمانى العنيد، الذى فتح النار فى جلسة ساخنة بالمجلس منذ أسبوعين على نواب القروض والمساندين له. يثق العارفون ببواطن الأمور وظواهرها أن الحادث مدبر، استهدف صابر الزاهد النائب المستقل، الذى كم ناضل تحت القبة ضد نواب بالمجلس يتسترون على جرائم نواب ورجال أعمال أهدروا المال العام، ويدافعون عنهم فى السر وفى العلن..

هاهى دفعة أخرى من المعزين: رئيس المجلس، والوكيلان، ونواب من مختلف الأحزاب. وهاهو شوكان البرعى غريمى الذى أشعر أنه وراء الحادث – يمد يده إلىّ بالتعزية ويده الأخرى خلف ظهره تقبض على خنجر مسموم. نظرت فى عينيه فى مقت فغض بصره، ومضى ليجلس فى صف خلفى يحاول تجنب نظراتى.. تابعته وأنا واقف فيغض البصر ويطرق راسماً حزناً مزيفاً. تسلل إحساس باليقين الآن

بأنه وراء الحادث.. تذكرت وأنا ألاحقه بنظراتى تحذير حنان الراعى الذى لم آبه له كثيراً، فلم أتوقع أن يصل خلافى مع شوكان فى المجلس إلى مرحلة التدبير القاتل.. إذا امتلكنى التأكيد وجب التحقيق، لمعاقبة القاتل والمدبر..

عدت إلى التفكير فى تحذير حنان الراعى .. حنان زوجة شوكان . زميلتى بالجامعة منذ عشرين عاماً .. سبق أن تعاهدنا على الزواج لكن ظروفى العائلية لم تمكنى من الاستجابة إلى قولها عقب التخرج وأنا أرتدى البدلة العسكرية .

- "تقدم إلى أسرتى شاب ثرى يطلبنى للزواج .

-

- كلمنى .. ماذا أفعل .. كيف أرد ..

- أنا لا أستطيع أن أتقدم الآن . فأنا فقير ومجند الآن .

- على الأقل تقدم واطلبنى .

- لا أستطيع . وأنا فى هذا المأزق .. الحرب واقعة وقريبة جداً ولا أضمن عمرى . أنا على الجبهة والاشتباكات مع العدو صباح مساء . كيف يمكن أن أفكر فى الزواج الآن .. بل لا يمكن أن أعد فأنا متشائم جداً ، وأكون أنانياً لو طلبت منك الانتظار .

مضيت دون التفت ورائى حتى لا أضعف بنظراتها المستجدية التى مازجها الأسف والحيرة والضيق . وقد عرفت من صديقى هشام العيارى ونحن فى جبهة القتال أن حنان وافقت مضطرة على الزواج من شوكان .

ينصرفون الآن فرادى، يشدون على يدى. وهاهو شوكان البرعى يقبل ناحيتى. حدقته بنظرة اتهام وإدانة فغض البصر بسرعة، ولم يتكلم. أشعر الآن باليقين يملأ صدرى. رأيت فى عينيه نظرة حسرة قبل أن يغض البصر فى كل مرة؛ لم يتوقع المدبر القاتل نجاة صابر الزاهد..

(٢)

تأبطنى هشام العيارى بعد مغادرة "مناسبات" مسجد الاستقامة بميدان الجيزة. اصطحبنى إلى سيارته لنتجه إلى مسكنى بالبحر الأعظم.. قال بعد لحظة صمت:

- الحادث مدبر.
- أعلم.
- أكد لى ضابط أمن الدولة أحمد برهان أن شوكان البرعى وراء الحادث.
- زدنى معلومات.
- قال الضابط تم القبض على السائق، واعترف بأنه تقاضى من شخص يدعى رامى العايدى مبلغ عشرة آلاف جنيه ليصدم سيارة تويوتا كرولا فضية برقم ٦١٢ ملاكى جيزة، وباستدعائه والضغط عليه اعترف بأن رامى العايدى بالسبتية هو الذى سلمه المبلغ.. رامى ابن شقيقة شوكان البرعى.

قال صابر بأسى:

- كنت أشعر منذ حدثت الصدمة العنيفة أن شوكان وراءها.

وقال هشام بصوت آسف:

- قال الضابط: تدخلت شخصية تابعة لجهة سيادية لإبطاء التحقيق، تمهيداً لحفظه.

وأضاف هشام:

- لابد من العقاب. لابد من تصفيته.
- لا. دع القانون يأخذ مجراه.
- قاتل.

فقال صابر بصوت متهدج:

- سأنال منه تحت قبة البرلمان.. سأنال منه.. وبالقانون.

(٣)

دخلتُ بصحبة هشام العيارى مسكنى المطل على البحر الأعظم. انضممنا إلى أولادى الأربعة الذين سبقونى إليه.

جلست بعض الوقت ثم شعرت بحاجة ماسة إلى الانفراد والعزلة. رغبت فى دخول غرفة مكتبى. مضيت وحدى إليها.. استويت على المقعد الجلدى. أرجعت رأسى إلى الوراء وأغمضت عينى: "توالت برأسى صور وأحاديث: رأيتنى وأنا أتحدث فى مقر حزب التجمع بالإسكندرية عن "ضرورة مواجهة الفساد المستشرى فى الدولة".. رأيتنى صريحاً للغاية فأشرت بأصابع الاتهام إلى الطبقة الحاكمة، ولم أستثن منهم أحداً؛ وأكدت على أن إصلاح الوطن والنهوض به مرتبط بزوال النظام الحاكم، وأن الشعب قادر على التغيير لو انتفض وأراد .. ورأيت صورة نجية فى الصف الأول تنظر إلىّ برعب، وصورة هشام العيارى وزوجته وهو يرغب فى إنهاء الحديث الخطير. بل إنه حاول مقاطعتى برأى أو بآخر؛ فالجميع يعرف أن ندوة الحزب يتم تسجيليها خفية بمعرفة مباحث أمن الدولة، وأن الليلة عامرة بالمفاجأت..

ورأيتنى وأنا أقود السيارة تجاورنى نجية فى الصحراوى، وشاهدت فى مرآة السقف هشام العيارى يتابعنى

بمسافة غير قصيرة: زوجته إكرام ضد السرعة الفائقة، فأبطأ هشام السرعة. لكنه فيما بعد شاهد من مسافة قريبة سيارة ضخمة وهى تصدم سيارتى بشدة من الخلف، وتدفعها إلى يمين الطريق المنحدر لتتقلب عدة مرات، وأنا أسمع صراخ نجية، بينما رأيتنى عاجزاً عن الخروج من السيارة أو الكلام.. لكننى رأيت أشباح رجال يخرجوننى بصعوبة، بينما بذلوا جهوداً شديدة لإخراج نجية. وسمعت صوتاً وأنا فى شبه غيوبة: لن تنجو السيدة إلا بمعجزة.. وقال هشام العيارى بعد إسعافى من شج بجبهتى فى مستشفى الهرم وعقب إفاقتى:

- للأسف نجية فارقت الحياة قبل أن تصل إلى المستشفى..

وجاء نقيب محقق وقال:

- تتهم أحداً؟.

- لا.

- لك أعداء أو خصوم؟.

فأجبته بحسم:

- لا.
- ساعدنا فلابد من معرفة ملابسات الحادث.
- ليس عندى ما أقوله سوى شعورى بصدمة عنيفة من الخلف قلبت سيارتى.
- عموماً سنواصل التحقيق فيما بعد. وسنتصل بك.

وسمعت فى إطراقتى تحذير حنان الراعى منذ شهر فى التليفون بأن شوكان البرعى يدبر لك. انتبه. وكن يقظاً. وقالت بأسى:

- صرح لى شوكان منذ أسبوع بأنه سيزيح صابر الزاهد من طريقه. بعض النواب مستاءون ويتمنون إزاحته بأى طريقة.

وسمعتنى أرد بصوت هادئ مطمئن:

- بعد عودتى من ندوة الإسكندرية سأتقدم بثلاثة استجوابات يوم الأحد القادم. ورأيتنى أصف لها كل استجواب على حدة. الأول: خاص بتسقيع أراضى الدولة، والثانى: يتعلق بتسهيلات هائلة من بعض البنوك لعدد من رجال الأعمال، والثالث: يتصل ببيع مؤسسات القطاع العام بالأمر المباشر بأبخس الأسعار.

وقاطعتنى حنان:

- انتبه.. انتبه.. واحذر فأعوانهم؛ أكثر مما تتصور..

فقلت بتصميم:

- لن اتراجع عن الإيقاع بهم وتقديمهم إلى العدالة.

(٤)

أخرجنى من غفوتى صوت التليفون. فتحت عينى ونهضت: مشيت نحوه رفعت السماعة. بها صوت حنان الراعى محمل بنغمة أسف وحزن.. قالت:

- عرفت كل شيء من هشام العيارى. سبق أن حذرتك. ثق أننى إلى جوارك، وعندى الدليل على إدانة شوكان.

فتساءلت:

- دليل؟!.

- سمعته منذ أسبوع يتحدث بصوت خفيض فى التليفون: لابد من إزاحة صابر الزاهد ولو بقتله. والتنفيذ ليلة عودته من الإسكندرية فى الطريق الصحراوى. وسوف يقيّد الحادث بأنه ضد مجهول أو بقضاء وقدر. كان مطمئناً أنه بمفرده فى الڤيلاّ. فأنا كنت فى زيارة شقيقى حمدى الراعى بالحى السابع ورجعت بسرعة. دخلت الڤيلاّ دون أن يشعر بحضورى. استرقت السمع. وكنت قد سجلت عن طريق سماعة التليفون مكالمته الأخيرة المدبرة والمحرضة بمعاونة شقيقى حمدى، لإدانته. التسجيل فى حوزتى بصوت واضح. وقالت:

- يمكنك أن تستخدمه ضده.. غداً فى العاشرة صباحاً أكون أمام نادى التجاريين بالبحر الأعظم لأسلمه لك..

(٥)

قبل الموعد بربع ساعة غادر صابر المسكن. هبط السلم من الطابق الرابع. لم يستعمل المصعد. فى دقائق كان فى مدخل العمارة. عبر الطريق بعد دقائق من انتظار عبور سيارة مسرعة. انتقل بخفة إلى الجانب الآخر. بدأ فى الاقتراب من سور النادى متجهاً إلى الباب الرئيسى.. أسرى بصره إلى باب المدخل الذى أخذ يدنو منه. لاحت له سيارة حنان المرسيدس السوداء. لم تهبط حنان. انتظرت أن يقبل عليها لأخذ مظروف التسجيل الذى وعدت به، فى اللحظة التى عبرت فيها سيارة سوداء بدون أرقام. هدأت من سيرها ثم توقفت، وأخرج شاب متجهم الوجه يجلس يمين السائق رشاشاً متوسط الطول، وأمطر صابر الزاهد بوابل من الرصاص..

مارس ٢٠٠٨

زلزال .. أريده..

زلزال .. أريده..

(١)

أوقف الدكتور شهدى الغمرى أستاذ الجراحة بطب القاهرة سيارته فى موقفها داخل سور ڤيلاّ "الزهور". مرّ بمهران البواب الذى وقف أمام غرفته المجاورة للبوابة الحديدية. لاحظ مهران أن الدكتور شهدى عابس الوجه.. ساهم النظرات، ولأنه يعمل منذ سنوات فى حراسة الڤيلاّ، ويشعر نحوه بالامتنان لإحسان معاملته- فقد تأثر بمنظره،

ودعا له براحة البال. رأى شهدى نظرات مهران فسرى فى نفسه شعور بالارتياح..

ترجل شهدى من السيارة.. ومضى تجاه باب الڤيلاّ الداخلى. سرعان ما انفتح على وجه تغريد مديرة الڤيلاّ.. التى تماثل زوجته الدكتورة لطيفة العمرى فى العمر.. الخامسة والأربعون.. منذ عشرين سنة وتغريد تدير بنجاح ڤيلاّ "الزهور".. ليس لها أحد.. مقطوعة من شجرة.. الڤيلاّ هى الموطن والمستقر والمأوى. الجميع بحاجة إلى تغريد. كم قالت للدكتور شهدى والدكتورة لطيفة، وابنيهما نادر وسلوى:

- ليس لى أحد. أنتم عائلتى، ولا أتصور أن أغيب عن مكان أحببته..

تحت يديها خادمتان حبشيتان دون العشرين. لهما غرفة تجاور غرفة تغريد، تحسن تغريد التوجيه، تتقبلان الملاحظات بصدر رحب وقلب مفتوح وابتسامة تبرز الأسنان البيضاء..

حين احتوته الصالة الفسيحة أسرعت تغريد نحوه وأخذت منه الحقيبة المنتفخة بالكتب والأوراق. دائماً تفعل بهمة عالية وبابتسامة رضا. مضت بالحقيبة إلى غرفة المكتب فى هدوء..

تأملها وهى تمشى بخفة ورشاقة.. تأمل إيشارب الرأس. حجب شعرها الذى رأى طوله ولونه من قبل. نصفها العلوى بداخل بلوزة زرقاء واسعة وطويلة، تعلو البلوزة بنطلوناً أسود غير ضيق.. وكان يتبعها عطر زكىّ انتشر فى المكان. أهداها الدكتور شهدى العطر عندما حلّ عيد ميلادها الذى يعرفونه جميعاً، رداً على كرافتة حمراء أهدتها له فى عيد ميلاده، الذى لم تتذكره زوجته الطبيبة الدكتورة لطيفة. فرح بالكرافتة التى اعتبرها مجرد تعبير عن شعورها بالامتنان لإحسان معاملتها طوال السنين الماضية، كما فرح بهدية تلميذته الدكتورة عبير الجمل المدرس بقسم الجراحة بالكلية. لكنه فى الوقت نفسه فكر فى أن زوجته الدكتورة

لطيفة لم تتذكر عيد ميلاده أصلاً، بل إنها لم تتذكر عيد زواجهما الشهر الماضى، ولم تكترث كثيراً بهديته لها حينئذ وهى: خاتم ذهب مطعّم بالماس الحر. شكرته لطيفة مجرد شكر .. غير حار، كما أنها لم تلتفت إلى مظاهر الاحتفال "بعيد الحب"، التى بدت فى ورود حمراء وضعتها تغريد فى فازة بيضاء فوق منضدة تحت صورته الكبيرة بالروب الجامعى، كما بدت مظاهره فى باقة ورد صغيرة بمكتبه بالكلية، أهدتها له تلميذته الدكتورة عبير الجمل، وفى أيدى شباب وشابات بالحرم الجامعى، وفى الطريق مع باعات الزهور والورود. كيف لم تتذكر لطيفة العمرى عيد الميلاد وعيد الحب وعيد الزواج؟؟؟!

حقاً هما مشغولان طوال الوقت بالتدريس فى كلية الطب بمرحلتى البكالوريوس والدراسات العليا، وبالإشراف على الرسائل العلمية، فضلاً عن انشغال الدكتورة لطيفة

بعيادتيها بالدقى وروكسى. الدكتورة لطيفة أستاذة أمراض النساء والتوليد. مشهورة . يقبل على عيادتها نساء الدقى والضواحى القريبة والبعيدة.. ويحضر إلى عيادتها نساء من محافظات أخرى، إلى جانب الرد على استفسار المرضى والحوامل فى التليفون بالمنزل والعيادتين..

رغم انشغال الدكتور شهدى أيضاً فإنه يتذكر دائماً منزله وابنيهما الدكتور نادر خريج طب لندن ويعمل بها مدرساً، وسلوى الدبلوماسية خريجة الجامعة الأمريكية وتشغل وظيفة السكرتير الثانى بسفارة مصر فى مدريد..

لطيفة لم يكن لديها وقت كاف لتتأمل نمو نادر وسلوى نمواً كاملاً، كما لم يكن لديها وقت لتتأمل أحوال شهدى الغمرى، ولتعرف ما يمكن أن يجرى فى المنزل العامر. عقب عودتها من الكلية تمضى ساعة ثم تنطلق بسرعة إلى العيادة..

(٢)

يجتمعان الآن على مائدة الغداء. يتطلع إليها. عيناها الشاردتان تنظران إليه ولا تنظران. ربما لا تراه، وربما تراه من خلف زجاج سميك غير شفيف. ترى وجوه نساء تنتظر عودة الطبيبة الماهرة لأخذ دورهن فى الكشف، ونساء حوامل أوشكن، وأخريات يلدن، بينما تسمع الصرخات الأولى للمولود..

يدرك تماماً استحالة إخراجها من عمل تندمج فيه.. تعطى حين يقتربان لكن بشرود أكيد. ومرة لاحظها أثناء اللقاء الحميمى وهى مغمضة العينين.. تستسلم لجميع إجراءته. ومرة توقف ونهض.. لم يتما الإجراء الحميمى.. ولم تسأل ولم يسأل، ولم يحدث لوم ولا عتاب!.. منذ عام تقريبا وهما لا يكترثان. كيف وقد كان الاقتراب الحميمى شيقاً لا يضعفه قلق أو شجار أو إجهاد؟!. "قال لها ذات مرة ومنذ سنوات بعيدة.. ربما عشر سنوات:

- لا أتصور أبداً أن يبعد أحدنا عن الأخر.

فردت بسرعة:

- ولا أنا.. ".

كان وقتها يجهز بحوث الأستاذية، وكانت هى قد سبقته إليها بعام، ولم تكن قد اشتهرت مثل الآن، فتصدرت بعيادتى روكسى والدقى يافطتان عريضتان واسعتان بخط أحمر كبير: [عيادة الدكتورة لطيفة العمرى أستاذ أمراض النساء والتوليد بطب القاهرة]. بدأت بعيادة الدقى منذ عامين، وكانت شبه خالية من المريضات والحوامل، لكن مالبثت أن ضاقت العيادة بالنساء، واتسعت شهرتها؛ ففتحت عيادتها الأخرى بروكسى، التى تستقبل النساء أيام السبت والأحد والاثنين، بينما تعمل فى عيادة الدقى أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس. أما اليوم السابع "يوم الجمعة" فيكون من حق المنزل والزوج والعائلة، وإن كانت تنام فيه غالباً طول النهار، وعندما يجلسان ليلاً فلوقت

قصير للغاية. "ذكّرها منذ أيام بحوارهما الذى جرى منذ أكثر من عشر سنوات فعلقت قائلة وهى تفتح بعض المراجع لإعداد محاضرات الغد، واستعراض مجلات أجنبية طبية وردت إليها لمتابعة مستجدات التخصص. قالت بسرعة:

- أحلام وأمانى.

لم يطل ضيقه بردها السريع العابر؛ لأنه سرعان ما رأى صوراً تتوالى على رأسه بإلحاح: جاءت سلوى فى أجازة من مدريد مع زوجها ماجد المغربى، السكرتير الثانى بسفارتنا فى مدريد مع أولادهما الثلاثة ليلى وباهر وريم، وحضر الدكتور نادر المدرس بطب لندن مع زوجته الإنجليزية ليزا وولديهما ساهر وسمير.. وامتلأت الڤيلاّ بحركة صخب وضجيج باعثة موجات بهجة ورضا وسرور"..

لا يداخله هم ولا فكر حزين عندما تحضر سلوى بأولادها الثلاثة، وحينما ينضم إليهم نادر وليزا وولداهما،

فتغيب من النفس مشاعر الغضب على لطيفة التى لا يكاد يراها.. ولكن بعد سفر الجميع يعود إلى التفكير فى حرمانه العاطفى..، الذى سرعان ما يتلاشى بوجه تلميذته الدكتورة عبير.. ونظراتها الحانية، وصوتها العامر بالاكتراث.. لا يمكن أن تغيب نظراتك الحنون ولا يضعف صوتك المكترث يا عبير..

كم فكر فى مفاتحة لطيفة فى الانفصال لبناء حياة جديدة تزينها عبير التى لا تمل الانتظار.. تحبه وترفض الزواج من سواه. قال لها مرة:

- أنا أكبر منك كثيراً يا عبير.

فردت بسرعة:

- أنا فوق الثلاثين ولم ولن أحب سواك.
- أنا زوج وأب.
- لن أتزوج من أحد غيرك.

كم فكر فى أن يكون زواجه منها سراً لا يعلمه إلا المأذون والشاهدان.. لكنه لم يقدم على هذه الخطوة، ويبدو أنه لن يتقدم خطوة فى المستقبل القريب.. يمنعه ويحول بينه وبين ما يريد ذكرى وصور لقاءات باهتة.. كما تمنعه صور نادر وسلوى والأحفاد الخمسة.. ليس أمامه الآن وفى المستقبل إلا أن يقمع رغبته العارمة المحرضة على الاقتران بعبير التى لا تمل الانتظار..

فبراير ٢٠٠٩

الوقوف على الحافة..

الوقوف على الحافة..

(١)

تأملت زوجتى تحية وهى تتحرك بهمة ونشاط داخل الغرفة، ثم وهى نمضى إلى خارجها لتعطى أوامر بإعداد الفطور: فارعة الطول، رشيقة القد، ينسدل فوق كتفيها شعر ذهبى ناعم، بينما تجلت فى وجهها الصبوح عينيان واسعتان بزرقة ماء البحر الصافى: تتحرك وتصدر الأوامر بثقة واعتداد؛ فهى زوجة أستاذ بكلية الحقوق..

تزوجت من تحية ابنة عمى تاجر الغلال الوجيه الثرى صبرى الصناديدى.. كنت فى الثلاثين بعد حصولى على الدكتوراه فى القانون الدستورى عندما أصرت أمى على أن تزوجنى من ليلى ابنة شقيقتها توحيدة، بينما انتصرت رغبة أبى الذى صمم على زواجى من تحية ابنة شقيقه صبرى الصناديدى.. قال أبى: لابد أن تتزوج يا نعيم. لا حجة لك ولا عذر بعد حصولك على الدكتوراه، وصرت مدرساً بالجامعة..

الواقع أننى لم أشعر بميل عاطفى إلى أى منهما؛ كان شعور الأخوة طاغياً فى سنوات الطفولة، والسنوات التى جمعتنا فى مراحل التعليم المختلفة.. لم أحلم مرة بأى واحدة منهما، لا حلم منام ولا حلم يقظة؛ لأننى كنت مشغولاً بجارتى الجميلة مارسيل ذات الأصول اليونانية التى تصغرنى بعامين، تبادلنا الحب البرىء.. وانتشينا عدة مرات فى الحقل المواجه لمنزلينا بعيداً عن أعين الرقباء. والتقينا كثيراً ليلاً فى حديقتها

وفى حديقتى منزلينا المتجاورين بشارع على مبارك المطل على حقول خضراء، وفى بكور الصبح قبل طلوع الشمس. كنا حريصين على ألا يعرف بحبنا أحد.. لكن مرة اكتشفتُ أن حبنا تسرب إلى بعض أصدقائى بعدد من ضواحى مدينتنا المباركة بالسيد البدوى، وأن الكبار من عائلتينا يعرفون وراضون، وأن مباركة علاقتنا تفصح عنها عيونهم، فاندفعنا فى الحب البرىء الذى لم يخل من تلاصق فى أحيان قليلة وسط الحقل المواجه لمنزلينا أثناء لعبنا البرىء..

كان كلانا يحب الآخر، لكن لم نتزوج؛ فقد انتصرت رغبة أبى، ووافقت أمى مرغمة على زواجى من تحية الصناديدى، بعد أن تزوجت جارتى مارسيل من ابن خالتها الشاب الوسيم وليد ابن رجل الأعمال المعروف اسكندر روليني.. هاأنا ذا الآن أستاذ بالجامعة وزوج أمين مخلص، وأقطن بڤيلاّ "الياقوت" بشارع النادى ، وراع صالح لأبنائى

الثلاثة عادل وناجح وشكرى.. كلهم متزوجون.. خلت منهم الڤيلاّ ولم يعد يشاركنى وزوجتى تحية سوى خادمتين نوبيتين، إحداهما نرجس زوجة حارس الڤيلاّ وهدان الأسوانى..

(٢)

تابعت حركة تحية وأنا أفكر فى مارسيل. التى علمت أنها لم تشعر باستقرار فى حياتها؛ زوجها وليد اسكندر رجل أعمال كثير الأسفار داخل البلاد وخارجها، سفره إلى بلدان أسيوية وأوروبية أكثر من سفره إلى محافظات الوطن، ويتعمد إهمال مارسيل.. ولا تخفى عن أحد علاقاته النسائية "اشتكت مارسيل لشقيقتى سامية التى تصغرنى بخمسة أعوام: بأنها تعيسه ونادمة أشد الندم لأنها فرطت فى نعيم، بأن رضخت لضغوط والديها بالزواج من وليد. وروت سامية أن مارسيل قالت:

- أنا متأكدة أنه مازال يحبنى، ومتأكدة أنه يعلم أننى مازلت أحبه.

لم تستطع سامية أن تخفى عنى كلام مارسيل أكثر من شهر.. صارحتنى حين كنت فى زياراتها بمنزلها بشارع الأمين الأحد الماضى بأن مارسيل فى محنة وتحتاج منك الكلام معها، والسؤال عنها وأضافت:

- رأيت الحب فى عينيها مثلما رأيته عينيك وأنا صغيرة منذ ثلاثين عاماً.

تساءلت..

- متى وأين رأيت؟.

- ظهر يوم فى حديقة منزلنا.. جمعكما كلام عن مادة الفيزياء، كنت تشرح لها وهى غارقة فى عينيك.

وأضافت:

- أحببت مارسيل، ولم أرحب بزواجك من تحية.

صمتت برهة وقالت:

- واجبى أن أحذرك من تحية.. انتبه يا نعيم".

لم تضف سامية حرفاً ولم تتحدث عن تحية أبداً، لكن الحديث فيما بعد أشار إلى باب لم أحاول فتحه أو حتى الاقتراب منه؛ خشيت أن يتسبب فتحه فى انهيار عائلتى وتهديد مركزى الجامعى والسياسى.. نحن أبوان لثلاثة: الأكبر (عادل) نقيب بمباحث أمن الدولة بطنطا، والأوسط (ناجح) سكرتير ثان بالخارجية، والأصغر (شكرى) مدرس بعلوم طنطا. سنكون مضغة فى أفواه خصومى بعد تسريب الخبر إلى الصحافة، فأنا أستاذ القانون الدستورى، أنتمى لحزب العمل ، وأنا المستشار السياسى لرئيسه، لكن قلبى يخفق دائماً بحب مارسيل. فكيف أقمع حباً لم يخب من قلبى أبداً؟، ومادامت مارسيل تبدى الندم على رضوخها لرغبة والديها فى زواجها المبكر –فيجب علىّ أن استجيب لذكرياتنا، وأصل ما انقطع رغم المحاذير التى تتنظرنى. هل يعرف القلب المحاذير؟ هل يؤمن بالعواقب قلب تجاوز الخمسين؟..

مرة عرفت من شقيقتى سامية أن مارسيل تحرص على شرب الشاى كل أحد وخميس فى حديقة نادى طنطا الرياضى القريب من مسكنى، فتساءلت فى نفسى: لم لا أقترب بقصد التعاطف والمساندة؟. صداقتنا القديمة سارية فى الدم، والحب حظى باعتراف أغلب كبار الأسرتين، ولم يكن عبثنا البرىء وسط الحقول أمام المنزلين سوى تنفيس عن رغبة مبكرة، عرفت فيما بعد أنها إرهصات البلوغ. أنا لم أنس ولم تنس مارسيل..

(٣)

هاأنا ذا الآن قررت التنفيذ. وها هو النادى شبه خال من الأعضاء.. اقتربت من المنضدة. كانت تجلس وبيدها اليمنى فنجان شاى.. عرفتها رغم مرور الأعوام الثلاثين: وجهها الأبيض الصبوح.. وشعرها الذهبى تخالطه شعرات فضية.. فمها الباسم.. أنفها الشامخ.. عيناها الخضروان..

هاهى تتطلع إلى بدون دهشة.. هل كانت تتوقع حضورى؟.. بدا المشهد كأننا على موعد حددناه من قبل. حييتها فنهضت وتصافحنا.. استبقيت كفها التى مازالت صغيرة. لم تمانع فلم تسحب يدها. جلسنا متقابلين يغلفنا صمت تسرى فيه عاطفة حب قديم. قلت بصوت خفيض:

- حكت لى سامية. عرفت منها أنك بحاجة إلى الكلام معى.

ردت بوهن لم أعهده فيها من قبل. كانت وهى صغيرة تتميز بالجرأة والصراحة:

- لم أجد غيرك يشعر بى.

استغرقنا الكلام ساعة. تذكرتُنا معاً: "كنت أتابع ذات مرة: حركة الوجه وقرمزية الشفتين وخضرة العينين. كنا نشاهد حفل زفاف ابنة صاحب المنزل المقابل. صحت فجأة:

- مستحيل يا مارسيل.. مستحيل أن يأخذك منى أحد يا مارسيل.

قالت مبتسمة، تعلو رونق وجهها ملامحُ الثقة والاختيال:

- اطمئن يا نعيم.. لا يمكن أن أوافق على أحد غيرك.. أنا لا أستريح إلا لك.

لكنها بعد شهرين تمت خطبتها إلى وليد اسكندر. وعقب الخطبة بأسبوع زفت إليه فى ليلة لم أشهدها بالطبع، لأننى غادرت منزلى بعلى مبارك إلى منزل شقيقتى الكبرى مديحة بشارع حسن رضوان الذى تطل نهايته على ترعة القاصد. وفى ظهر اليوم التالى رجعت إلى المنزل محبطاً واهناً منكسراً وناقماً على ظروفى التى لم تمنع زواج مارسيل من شاب لا تحبه. وأكدت شقيقتى سامية استمرار حب مارسيل لى:

- مارسيل كانت شاردة أثناء حفل الزفاف، ولم تعرف الابتسامة شفتيها.. مارسيل تحبك ولن تحب سواك. حكت لى أكثر من مرة".

الواقع أننى لم أشعر بفداحة العجز فى حياتى مثلما شعرت بعجزى عن تصرفى فى مواجهة "موقعة زواج" مارسيل من وليد اسكندر.. هى الآن فى الثامنة والأربعين.. تأملتْنى بنظرة حائرة وهمستْ:

- دبت الخلافات منذ الأيام الأولى من الزواج.

رمقتها برهة وقلت معاتباً:

- معلوماتى أنك وافقت عن اقتناع.

فبادرت بصوت واهن:

- استسلمت لضغوط بابا وماما.. كنت صغيرة..

سكتت برهة وقالت معاتبة:

- وأنت كنت مجرد طالب ولم تجاهر برأيك.

رددت بسرعة:

- قلت لك ارفضى وانتظرى حتى أنتهى من دراستى.

- عارضنى الجميع وبخاصة ماما.

قلت مهدئاً درجة انفعالى:

- أسفت للغاية عندما تزوجت.. وطوال السنوات الثلاثين الماضية وأنا أشعر بالحسرة تملأ صدرى.

ابتسمت بوداعة وقالت بصوت خفيض:

- أنت كنت معى طول الوقت.. وما تزال، وكم استرحت واستريح لصوت أم كلثوم وهى تغنى الأطلال.. .

تأملت وجهها المضىء وهمست:

- مازلت رغم مرور السنين جميلة متألقة.

احمر وجهها البيضاوى الأبيض وعلت شفتيها ابتسامة رضا. رأيتنى أمد يدى اليمنى الكبيرة وأمسك بكفها اليسرى الصغيرة، وأضغطها مرات. استجابت للضغطات راضية مبتهجة، وتحاورت الأصابع العشر بعض الوقت، فامتلأتُ

بنشوة تماثل النشوة التى كنت أشعر بها منذ ثلاثين عاماً ونحن فى الحقل والحديقة؛ شعرت بقلبى ينبض نبض مراهق، بينما أطرقت هى والاحمرار مازال يملأ الوجه الأبيض الصافى. وبدا لى أن الرغبة فى التلاقى تحرضنا على المزيد. فاقترحت عليها بأن نقضى بقية اليوم معاً. لم تمانع، فهمستُ:

- لابد من المواجهة.. سافاتح تحية.
- وأنا سأطلب من وليد الطلاق.. ولدانا الآن مهاجران إلى اليونان ولن يعودا إلى مصر.
- وأولادى الثلاثة مستقرون ليسوا بحاجة إلى أحد.

نهضنا بعد أن استقبلت موائد الحديقة الخضراء روواداً بعد رواد. اتجهنا إلى باب الخروج.. ضمنا الطريق المؤدى إلى الباب الرئيسى، وعيوننا فى نشوة تذكّر بنشوة سنوات الطفولة والصبا التى تحرض وتحرض على التنفيذ..

سبتمبر ٢٠٠٩

ضوء فى آخر النفق ..

ضوء فى آخر النفق ..

(١)

ست سنوات مضت ولا تقدم. باءت كل المحاولات بفشل ذريع. لجأ إلى الطبيب المتخصص وحكى له سر عذابه وشقائه.. الآن يطمئنه الطبيب بأن السبب راجع إلى توتر الأعصاب. ثمة شىء يقلقك ويجب أن تتجاوزه وقال:

- تذكر أن حياتكما معاً أثمرت ثلاثة أبناء هم الأن فى سن الشباب.

ثم سأله الطبيب:

- هل علاقتك بزوجتك على ما يرام؟، هل تشعر بتحول زوجتك عنك؟.

كابر بالطبع ودافع عنها.. لكنه ما لبث أن عاد واعترف بأن مشكلته بدأت منذ ست سنوات عندما لاحظ بعض التغير ثم النفور من زوجته فلم يبال، وانصرف إلى "الشرب" و"السهر" و"عالم الليل الساحر"، وكلما ازداد شعور زوجتى "سوزى" بالملل – ضاعفت من سهرى ومن تأخرى عن المنزل. وقال للطبيب:

- أقبل على زوجتى بشوق مثل ما كنت قبل ست سنوات لكن عندما ألاحظ شرودها أتراجع.

- إذن المسألة ليست مرضاً عضوياً.. أبشر. مشكلتك فى طريقها إلى الحل":

لكن "الحل" بات بعيداً جداً. ويفصله عنه آلاف الأميال..

(٢)

هاهى سوزى تنصرف متوردة الوجه إلى الغرفة الأخرى.. ولا تشارك فى الفراش رغم زواج دام خمسة وعشرين عاماً.. وهاهى تنظر إلى سامى -الذى كان أسداً هصوراً- بنظرات خالية من المعنى، لا بل تحتوى على معنى واحد هو خيبة الأمل الممزوجة بالإشفاق: "ليلة أمس دفعه الشوق إليها حين كانت فى الغرفة الأخرى. رآها متألقة فى ثياب كاشفة. وتشيع فى الجوار رائحة داعية. قال فى نفسه: أحببت وأحب رائحة دعوتها، وقال بصوت سمعه: آن الآوان ليهجم الأسد الهصور. سمع صوتاً متشككاً بداخله: أنا غير واثق من قدرتك. لكنه تحداه بصوت سمعه: رغبتى الآن عارمة..

تقدم متحدياً نحو الغرفة ولم يكن بالقيلاّ أحد من الأولاد. هم الآن فى زيارة عمتهم بالهرم. وهياتم مديرة القيلاّ

أستاذنت لتمضى الليلة مع والدتها فى المطرية. ثيلاً "القمر" الآن تساعد على أداء المهمة بنجاح: الأضواء خافتة، الصمت الذى لا يجرحه صوت.. الرائحة العطرة تملأ المكان. واصل تقدمه إلى الغرفة ذات الباب الموارب. تجلس سوزى فى كنبة شازلونج مادة ساقيها.. وتسند رأسها على المسند.. فى كامل هيئتها. تنتظر؟، هل شعرتْ برغبتك العارمة؟..

ما إن دنا منها حتى تراجع خطوتين إلى الوراء. بدت بعينيه امرأة أخرى تنتظر رجلاً آخر.. لم يكن بالطبع سامى. هى لم تشعر بدخوله الغرفة ولا بوقوفه أمامها.. سوزى تنتظر رجلاً آخر . صاح فى نفسه:

- سوزى لا ترانى: هل أنا شبح؟، هل أنا كائن غير مرئى؟!.

(٣)

نهضتْ ودعته إلى الجلوس بعد لحظات من تراجعه. ليس بينهما عداء، ولكن بينهما بحر من الفتور لا يمكن

عبوره، ليس لأن فشله متكرر، وإخفاقه مستمر منذ ست سنوات، ولكن لأنها خلال تعاقب السنوات الست قد أصابها الملل والضجر، وباعد بينهما بحر الفتور، وتتثاءب عندما يتجدث.. وربما ينام عقلها إن طلب، لكن تظل عيناها مفتوحتين. كم تساءلت: هل ما يحدث الآن لها مجرد إرهاق جسدى وذهنى عابر لا يلبث أن يزول؟، لكنها لم تحظ بلحظة التركيز المنشودة عندما يفتح كلام أو يجمعهما حديث: "مرة ذهبت إلى الكنيسة ودخلت غرفة الاعتراف سألت الكاهن المساعدة والنصيحة :

- بصّرنى.. فأنا لا اهتز لحضوره، ولا أرتجف بلمساته.

قال الكاهن بلسان يطمئن:

- حالة طارئة وتزول قريباً.

- طال زمنها يا سيدى.. وأنا فى ارتباك شديد..

- الصبر يا ابنتى الصبر".

اقترب منها ومرّ بكفه الساخنة على شعرها الأسود الفاحم الغزير.. رآها فى قمة استعدادها فأقبل بهمة عالية.. حين حاولت النهوض ليذهبا إلى غرفة النوم - طلب منها البقاء حتى لا تتسرب الرغبة العارمة. قال برجاء وهو يشير إلى الشازلونج:

- هنا.. وفوق الشازلونج.

استجابت وهى تحدث نفسها بأن الحل متاح الآن برضا الرب وبدعوات "الكاهن".. تجاوبت مع لمساته. وانتظرت.. تركته يتجول فى تفاصيلها وهى تفكر فى جورج الذى أثار مشاعرها وأوصلها إلى ذروة النشوة : كان خلفها مباشرة يوم السوبر ماركت وهى تدفع بعربة المشتروات. صدمها. حولت إليه رأسها. نظرت إليه دون غضب. خطرت بذهنها صورتها وصورته وهما عائدان بالسيارة. كانت تجلس فى المقعد الخلفى وتشم رائحة كم افتقدتها.. والآن هى لا تشم تلك

الرائحة.. رغم تجردها فترت وأصابها الوهن، ونال من سامى -أيضاً- الفتور. حاول مرة ومرة ومرة ولكنه أخفق. تركت نفسها تماماً ولكنه أخفق، لكنها فى نشوة شديدة؛ فأيدى جورج كانت تحتوى وتحسن الاحتواء.. كانت ترتعش بشدة بينما سامى متراجع إلى أقصى حدود التراجع، وضرب بينهما بحر الفتور الذى يستحيل اجتيازه. كيف له أن يبقى فى الحجرة بعد الآن؟. كيف له أن يواصل المحاولة بينما سوزى فى واد آخر؟! هى الآن مع آخر. إنها مغمضة العينين تبتسم فى نشوة وعذوبة. من الذى منحك كل هذه الحيوية يا سوزى؟!، فلابد إذن من جمع ذاتك المبعثرة والرحيل عن الغرفة. بل من الأفضل الرحيل عن الڤيلاّ، وعن التجمع الخامس، بل وعن المدينة..

فتحت سوزى عينيها. اهتزت حين رأت الغرفة الخالية إلا منها. عمدت إلى ارتداء ملابسها.. أفاقت. حزنت حين

رأت سامى يمضى خارجاً فى يأس، ويمشى فى تثاقل. كيف آذته إلى هذه الدرجة وهو أب أولادهما الثلاثة؟!. سمعت بداخلها صوت الكاهن: لم يستطع أن ينالك، ولم يجد منك المساعدة. كنت فى واد آخر أثناء المحاولة، أنت تتحملين وزر إخفاقه..

غادرت الغرفة، واندفعت باحثة عنه: أرادت أن تعيده إلى ما رغب فيه وبدأه.. عاد الصوت الداخلى يهمس: هل أنت جادة فى بحثك؟، هل رغبتك صادقة فى تكرار المحاولة؟. لا أظن أنك تريدينه، أنت تريدين الآخر الذى ملأ الجو والأماكن بتلك الرائحة التى لا تغيب.. لكنها سارعت فأجابت الصوت الداخلى بأنها لا يمكن أن تخضع طول الوقت لتلك الرائحة، مهما توالت على ذهنها أصوات التحريض..

يناير ٢٠١٠

اختراق السور..

اختراق السور..

ارتفقتْ ليلى سور الشرفة تتابع معالم الحديقة. هبت على وجهها نسمات نوفمبر حاملة عبق الورود والزهور. عارضتها أشجار الكافور الباسقة: خضراء داكنة توحى بالغموض، متراصة تحجب ما وراء السور المستطيل المرتفع كأسوار السجون.. همست لنفسها: لن أبقى خلف أسوار ڤيلاّ "إيزيس" إلى الأبد..

سقطت على المعالم شمس العصر الصفراء التى لا تريح. بدت حجرة الحارس عسران الجرجاوى بجوار بوابة الڤيلاّ الحديدية العريضة مغلقة بإحكام، يشغلها الزوجان عديلة وعسران.. رأت عديلة منذ لحظات وهى تهرع إلى الحجرة وتغلق خلفها الباب.. تحرك بداخلها إحساس نشط: مضى زمن دون أن يفتح الباب.. واصل الإحساس نشاطه.. تشعر به عارماً وعنيفاً.. مضت ساعة أو يزيد. قالت فى نفسها: حق مشروع وسوف تخرج عندما تفرغ لتتابع عملها فى الڤيلاّ؛ فهى تساعد فى المطبخ منذ الصباح حتى وقت العصر، لتعود بعد الغروب لمواصلة العمل حتى الثامنة مساء..

هاهو الباب ينفتح وتخرج منه عديلة لتتجه إلى باب الڤيلاّ الداخلى.. تأملتْها : متوردة الوجه مبتسمة، سادت الوجه ملامحُ القناعة والرضا والارتياح.. ركزت نظرها أكثر فأحست بمزيد من النشاط الداخلى..

(٢)

هاهى الآن تجلس فى الشرفة وتتابع الحارس السعيد الذى خرج من الغرفة بهمّة إلى البوابة ليشملها فيض ذكريات بعيدة وقريبة، مريحة وغير مريحة. همست لنفسها: حياتى الزوجية حافلة بزوج لا يحبنى. فكرى الجابرى ابن عمى يتمادى فى هجرى دون أن أغضب. لا أغضب لأننى فى الواقع مشغولة بالأبناء الثلاثة الذين أنجبناهم ومشغولة بإعداد رسالة دكتوراه فى الاجتماع بعد أن تخرج الأبناء من الجامعة.. رغم انشغالى ما نسيت أن من حقى أن أُحِب وأُحَب.. وأن أستدعى ذكرياتى مع الزوج الذى لم أشعر أبداً بحبه..

"حين وافقت على الزواج من ابن عمى فكرى الجابرى لم أشعر بالفرحة المنشودة التى تحلم بها البنات: اضطررت إلى الموافقة دون إبداء أى اعتراض. كيف يمكن الاعتراض

على فكرى الجابرى الذى تتمناه فتيات العائلة وفتيات العائلات الأخرى؟: شاب وسيم مؤهل، ويشغل وظيفة مدرس بكلية الحقوق ، هو الآن أستاذ القانون الجنائى..

لم نوفق فى الليلة الأولى ولا الثانية ولا الثالثة، وفى الليلة الرابعة تم الأمر بصعوبة وجهد جهيد.. قدرت أنه مازال مشغولاً وعالقاً بأنوار. أماكن كثيرة بمصر الجديدة تعرف بأمر حبه لأنوار .. "مرة عقب لقاء غير حميم قلت بعد إخفاق متكرر:

- تحبها؟!.
- أحب صداقتنا القديمة.
- أقصد.. مازلت تحبها؟.
- لا يمكن أن أنسى صديقة طفولتى وصباى.
- تزوجت.. وهى الآن فى عصمة منير العطار.
- مستحيل أن أنسى طفولتى وصباى.

فأيقنت أن قلبه مشغول فقط بأنوار ، ولا يمكن أن يتسع لاثنين. وقلت فى نفسى أيحق لى أن أشعر بالغيرة والغضب والحسرة؟. لكن الحق بعد اقترانا لم يتصل ولم يلتق بها. تأكدت، لأننى كنت أراقب من قريب ومن بعيد.. لكن قلبى بعد إنجاب ابننا الأول عماد صار مفتوحاً وقابلاً لتجربة حب لا أعلم متى ستحدث، وصرت مشتاقة إلى هذا المجهول الذى بالقطع سيملأ الفراغ الذى عجز زوجى والأولاد الثلاثة، وعجزت دراستى عن المرأة للحصول على الدكتوراه -عن ملئه-. سنوات طويلة وأنا أنتظره..

ذات صباح منذ شهر تقريباً وأنا استقر فى مقعدى بحديقة الميرلاند ومعى كتاب بعنوان "أزمة منتصف العمر" لأستاذ الطب النفسى المشهور ماهر النواوى – الذى تربطنا به صداقة عائلية . كم فكرت فى البوح له ، لأنه يشعر بى فى كل جلسة تجمعنا . تراجع تفكيرى لأننى أشعر بأن من أنشده

سوف يظهر . أغلقت الكتاب وأدرت بصرى فى المكان، لم يكذبنى إحساسى. رأيته يغمرنى بنظراته.. صحت بداخلى: هاهو أخيراً قد حضر وظهر الذى لم يعد مجهولاً..

رأيته يجلس منفرداً على مائدة قريبة مواجهة. التقت عيوننا برهة فخفق قلبى وفرح. حدثت نفسى بأن الشاب الجالس بالقرب منى هو هو مَن كنت أنتظره بفارغ الصبر. بمجرد أن تلاقت عيوننا حيانى بهزة من رأسه وبكفه اليمنى، فوجدتنى أفعل مثله دون تفكير فى العواقب. أشار علىّ بأن نخرج فوافقت. نهض يسبقنى فنهضت. بعد دقائق قليلة اتجه إلى موقف السيارات. قصد سيارته دون أن يلتف إلىّ.. مضيت خلفه مسحورة قاصدة سيارتى بغير أن أنظر خلفى..

تحرك بسيارته فتحركت بسيارتى بعد دقائق. مضيت بقلب يدق بعنف. غادرت المكان إلى شارع صلاح سالم، مروراً بعمارات العبور. قبل أن نصل إلى كوبرى أكتوبر.

انعطفت سيارته إلى شارع الفنجرى على اليمين ثم توقف، فأوقفت سيارتى خلف سيارته. ترجل منها وتقدم نحوى بجسارة ماداً يده إلىّ، فأغلقت المحرك ونهضت بخفة شابة مراهقة، لا أتذكر أننى أغلقت باب السيارة أشعر فقط بدمى كله يندفع فى عروقى.. أمسك بيدى واتجه إلى سيارته فاتحاً لى الباب الأيمن. لم يغلقه إلا بعد أن جلست. عاد إلى مكان القيادة.. وأسرع مغادراً المكان قاصداً كوبرى أكتوبر..

فوق الكوبرى مد يده اليمنى وقبض على يدى اليسرى، ازداد تدفق الدم فى العروق.. تحاورت كفانا للحظات قبل أن يقول هامساً:

- لا أعرف اسمك!.
- ليلى الجابرى.. وأنت ما اسمك؟.
- تامر الكتامى .

خيم صمت للحظات ثم قال:

- لاحظتك منذ عام أو أكثر.

- أنت من سكان مصر الجديدة؟.
- انتقلت إلى شارع نهرو منذ عام تقريباً .
- لم أرك من قبل.
- كنت أراك من بعيد حائرة.. رأيتك تبحثين. تبحثين عن شيء غير موجود.
- ولم لم تكلمنى؟!.
- خشيت أن أفسد الأمر.. جمعت معلومات عنك وعن عائلتك. لك زوج وثلاثة أبناء.

تطلعت إليه بدهشة وانبهار.. وهمست وأنا أستجيب لحوار يده:

- تأخرت.. تأخرت كثيراً.
- خفت أن أفسد الأمر. خفت أن أتصرف تصرفاً يفقدك.

نعمت بمشاعرى المتدفقة التى لم أجربها من قبل. وفجأة دققت فى وجهه الوسيم فهالنى أننى أجلس مستجيبة لشاب فى عمر ابنى عماد. اقترح بما يشبه الأمر بأن نقضى

بعض الوقت فى برج الجزيرة. وافقت.. لكن فكرت عندما وصلت إلى أسفل البرج الشاهق فى أننى تسرعت. وأن صغر سن الشاب سيحدث لى عواقب غير محمودة.. لكن عاطفتى الحارة المتدفقة منعت من التراجع فمضيت معه إلى باب المصعد.. تواجهنا عقب استقرارنا فى الكازينو الدائرى المتحرك. رأيتنى أكبر منه. حقاً تامر الكتامى فى عمر ابنى عماد، ولكننى واصلت الاستسلام لنظراته الجريئة وكلماته، الجسور الآسرة المعسولة، وليكن ما يكون"..

(٣)

هاأنا ذا الآن أسيرة هواه ولا يمكننى نسيانه، وها هو قد نجح فى إقامة سد عال سميك بينى وبين فكرى الجابرى. زوجى. والد أبنائى الثلاثة وابن عمى. وهاأنا ذا مصممة على الارتباط بالشاب، هل كنت أفكر فى أى أحد ، وفى أى شىء بعد أن دارت رأسى بكلماته وهمساته فى لحظة لم أعشها من قبل؟!. هل يمكن التخلص من فكرى بالطلاق؟، وهل يتقبل

الأبناء الثلاثة القرار الذى لا أتوقع أن يتحقق؟، هل يوافق رجال العائلة؟، هل توافق النساء؟، لابد إذن أن يظل ما بينى وبين تامر الكتامى سراً لا يمكن البوح به، لكن إلى متى سيدوم الكتمان؟..

لا يمكن أن يستمر الحذر والحرص على السر، سيكتشف رغم التحوط: "مرة وأنا بجواره فى سيارته فوجئت بنهال أخت فكرى ابنة عمى تحاذينا بسيارتها. حاولت إخفاء وجهى. كانت بصحبتها نادية صديقتها الحميمة. لست متأكدة من أنها إذا كانت رأتنى أم لا. أعلم أن نهال ستتكلم إذا كانت رأتنى. ليكن. ربما يكون الحكى سبباً فى طلاق مأمول وفراق منشود"..

(٤)

هاهو فكرى الآن يقابلنى بملامح مَن عرف بالواقعة. هل حكت له نهال؟، حييته ومضيت إلى غرفتى. لكننى سرعان ما فكرت فى الواقعة.. اضطربت ورغبت فى الكلام

مع الدكتور ماهر النواوى. هاتفته فدعانى إلى عيادته بروكسى. لم أغيّر ملابسى.. هرعت سيراً على قدمى قاصدة العيادة. ما إن رأيته حتى اختنقت بالبكاء. فطمأن وهدأ، فرويتُ له ما جرى.. قال بعد فترة صمت:

- يجب قطع العلاقة فوراً.

- لا استطيع.. أقصد هل استطيع؟.

- حاولى. وحاولى.

- والحب؟.

- وهْم وسراب.

واصل الدكتور ماهر صدْمى بالعظات والنصائح والتحذيرات، لكن صوته لم يبق فى الأذن ولم يدخل القلب. ضقت بما يقول، ونشدت الرحيل. أطرقت كأننى قد استجبت، لكننى أرى الشاب واضحاً فى إطراقتى، كما رأيت فكرى وهو يدير ظهره لى.. لم أحزن ولم أغضب منه؛ فتامر الكتامى الآن يحتوينى بعينيه

ونظراته الصريحة التى تحرضنى على الاستجابة والاستسلام.. لكننى قبل أن أغادر العيادة فكرت فى ابنى عماد ، وتطلعت إلى وجه الطبيب الذى أثق فى نصحه ولا يمكن تجاهل تحذيراته ، بينما لاح لى تامر الكتامى بصحبة فتاة فى حديقة الميرلاند.. بدا لى أنه يبثها الشكوى ويبوح لها بهمّ أنا سببه..

أكتوبر ٢٠١٠

فى الميـدان ..

فى الميـدان ..

اجتاحتنى طوال الشهور والأيام الماضية مشاعر غضب لايمكن التحرر منها . فقدت الثقة فى كل ماحولى ومَن حولى بعد أن أرغمنى رجال أشداء بصحبة ضباط شرطة على التنازل عن منزلى وأرضى التى تحيط به.. اغتصبوا منزلى الذى وضعت فيه كل مدخراتى لصالح عضو فى الحزب الحاكم استعدى علىّ السلطة ، ولما اعترض ابنى الشاب الوحيد المستقيم

وقاوم المعتدين أزاحوه فى ليلة بخطفه وإخفائه ، حتى جاءنا خبر وفاته فى المستشفى العام بتشخيص غامض: "المذكور انتحر بشنق نفسه بحبل معلق بماسورة المياه فى حمام المستشفى" ، وهو الخبر الذى تسبب فى وفاة زوجتى قهراً وحزناً عليه ..

حدثت نفسى بأن الرحيل هو السبيل الوحيد إلى التخلص من غضبى وقهرى .. لم أستشر أحداً سوى شقيقتى الكبرى كريمة فى أننى راحل عن المدينة الصاخبة.. الاسكندرية التى شهدت نجاحى فى عملى الهندسى، فأنا مهندس معمارى كما شهدت أحزانى وأفراحى . لست بحاجة إلى تعليل قرارى؛ فهم يعرفون ويقدرون أن شفائى من غضبى يكمن فى الرحيل عن المدينة الصاخبة.. للعمل فى شركة هندسية ببيروت، تلك المدينة الساحرة التى جذبت شباباً آثروا البقاء فيها..

ها أنا ذا الآن أنفذ قرار الرحيل فى نهار أبيض خال من الغيوم.. ولكن فجأة تساقط ظلام ثقيل أطبق على الميدان الكبير ميدان القائد إبراهيم الذى أتجاوزه لأخلف ورائى شقيقتى المنكسرة الحزينة.. لم يكن فى الميدان المظلم أحد سواها ..

تهاديت منه إلى زقاق بدا لعينى ضيقاً ومظلماً . لابد من عبوره لأصل إلى الشارع الكبير المؤدى إلى محطة أتوبيسات المطار : ستقلع الطائرة إلى بيروت الساحرة فى الساعة الثالثة . سرت وحدى فى الزقاق وأنا أسمع صوت شقيقتى الكبرى كريمة يناديني بأن أعود ، كانت نحيلة ، وكانت تقف وسط الميدان تواصل النداء رغم دخولى الزقاق. شقيقتى آسفة ومكتئبة لأنها عجزت عن إقناعى بالعدول عن السفر والعودة إلى بيت العائلة الذى يشرف على شاطئ تلطمه طول الوقت أمواج هادرة ..

كان البيت فى عينى حين واصلت السير ، وكانت عيون كريمة التى لم أنصت إليها تلاحقنى ؛ أرادت أن تثنينى عن رغبتى الجامحة فى مغادرة مدينتنا الساحلية . تحذرنى من السفر إلى بيروت التى قررت الرحيل إليها والاستيطان بها . كم قالت:

وكم قلت :

- دعينى أسافر .. فلم أعد أتحمل .

حين بلغت منتصف الزقاق رأيت دخاناً أسود كثيفاً يتسرب من جميع البيوت القديمة المرصوصة على جانبيه المتقاربين .. يتسرب من الأبواب والنوافذ والأسطح لينعقد فى الفضاء دون تحرك ، شعرت بضيق شديد فى صدرى ، وبأننى أكاد أختنق فرغبت فى أن أرجع إلى بداية الزقاق أو الميدان ..

توقفت واستدرت .. نظرت إلى مدخل الزقاق المظلم وإلى ظلمة الميدان ، أبصرت شقيقتى كريمة رغم الظلام : كانت تقف وسط الجزيرة الخضراء المسورة بالأزهار والورود .. كانت مصممة على متابعتى بعد أن أخفقت فى إقناعى واستعادتى إلى بيتنا الرابض فوق الأمواج الثائرة ، كانت خائفة وفزعة .. اهتز قلبى بالظلام الثقيل .. فكرت: فرأيتنى طفلاً فى السادسة يمشى منفرداً فى زقاق ليس به

ضوء ، لايهاب الظلمة والأشباح التى تفاجئ الصغار بجذب ملابسهم وإيذائهم فى الأماكن المظلمة ..

خطوت عدة خطوات لكن توقفت وفكرت فى الرجوع لأقنع شقيقتى كريمة بأن تغادر معى الميدان والمدينة . كنت أراها تشير إلىّ بكف ذى أصابع خمسة ، وترجونى بصوت مفعم بالقلق والذعر أن أصحبها إلى بيتنا العائلى المائى الصغير . كانت ترانى رغم الظلام الذى أحاطنى ، وكنت أراها وهى غارقة فى ظلام الميدان ..

لم أستجب إلى توسل كريمة ، فقد قررت الخروج من الزقاق مستهيناً بالعواقب والمخاطر . ولم لا ؟ فأنا رجل رشيد مملوء بالأمانى ، وأملك إرادة صلبة ، ولست أهاب الظلام ولا أخاف الأشباح .. ولكن ما هذا الصوت ؟!..

برزت من وسط الظلام سيارة سوداء ضخمة ومرتفعة وعريضة . كانت تقبل مندفعة من نهاية الزقاق يسبقها صوت محرك مثل ضجيج طائرة موشكة على الإقلاع .. ثبت عينى

من بعيد فى الزجاج الأمامى فلم أبصر أحداً بالكابينة خلف عجلة القيادة . كانت بلا سائق .. أحسست بالخطر ولكن لم أفسح لها ولم أتراجع رغم أنها أخذت تحك جانبى الزقاق .. كانت أصوات الاحتكاك شديدة بينما وجدتنى واقفاً فى مواجهتها. ولحظة اقترابها منى رأيت شقيقتى كريمة تظهر فجأة وتزيحنى وتلصقنى بالجانب الأيسر قبل أن تبلغنى السيارة الضخمة العريضة السوداء ، فجعلت أتشبث بالجدار بكل قوتى بينما اختفت كريمة ..

مرت السيارة بصعوبة فحكّت الجلد والعظام . تألمت باحثاً عن شقيقتى وتساءلت: أين ذهبت ؟! . شعرت عقب مرور السيارة بأن جسمى دقيق ورقيق وسليم فعرفت أننى نجوت ، لكن هل نجت كريمة ؟ . وبدلاً من أواصل السير رأيتنى أتابع السيارة السوداء الخالية من السائق وهى تتجه إلى الميدان ، فرأيت شقيقتى كريمة وسطه لا تبرحه ، ولاتبالى بالسيارة التى جعلت تسرع فى الاندفاع نحوه . وكانت يدها

المرتفعة فى الفضاء مازالت تشير إلى بأن أعود ؛ فلم يرجع من تلك المدينة الساحرة أحد . وكانت بعينى الأمواج الهادرة تلطم جدران البيت ونوافذه وبابه وسطحه . رأيته فى الظلام مثلما رأيت هيكل السيارة الأسود وهو يغطى الميدان ويحجب جسم كريمة .. اجتاحت السيارة وسط الميدان ثم تباعدت عنه ببطء وتثاقل .. وفجأة أضيء الميدان بأنوار باهرة انثالت فوق يد نحيلة حاولت الارتفاع فى الفضاء مرة أخرى لتحذرنى ثم سقطت هامدة على صدرها ..

صحت ووثبت فزعاً إلى الميدان المضاء . بلغت مكان كريمة التى غمرتها الأضواء الباهرة .. كانت ممدة على الأرض بلا دماء ، بينما استدارت السيارة الضخمة العريضة السوداء لتعود إلى الميدان .. وظهر فجأة أشخاص كثيرون ، عبروا المكان بغير اكتراث . رجال ونساء وأطفال كانوا لا يتوقفون ولا ينظرون ولا يظهرون الرغبة فى التوقف

والنظر.. فقط رمونى بنظرات غير مكترثة تماثل نظراتهم بعد انتحار ابنى الوحيد ووفاة زوجتى ..

رأيتنى أنحنى مقهوراً وأحمل شقيقتى كريمة بين ذراعى . شعرت بجسمها النحيل ينبض بالحركة فأسرعت إلى مستشفى برز فجأة لعينى .. ولكن وجدت بابه مغلقاً بسلاسل كبيرة وينام خلفه رجل عجوز لا يسمعنى ولايرانى ، اكتشفت أنه أعمى وأصم ، فرأيت صورتى ابنى المنتحر وزوجتى المقهورة ، فاندفعت أجرى قاصداً بيتنا الرابض حافة الشاطئ الذى تضربه الأمواج الثائرة.. وحين اقتربت من المنزل رأيت الأمواج مرتفعة كجبال عالية كانت تضربه بعنف هائج.. ورأيتنى أحمل كريمة وبعينى ابنى المنتحر وزوجتى المقهورة، وأتقدم نحو بيتنا العائلى المحاصر بجبال الأمواج العالية.. ووجدتنى أدير ظهرى للبيت وأرجع مسرعاً بشقيقتى إلى مشارف الميدان الذى سقط عليه نهار أبيض خال من الغيوم..

وفجأة أبصرت السيارة الضخمة السوداء قد استدارت وشرعت فى اقتحام ميدان القائد، فهرعت إلى الدائرة الخضراء وأنزلت بهدوء كريمة وسط الخضرة المسورة بالأزهار والورود، ثم غادرت الدائرة لأواجه السيارة المقتحمة بغير مبالاة ، بينما توارت من نفسى الرغبة فى الرحيل..

نوفمبر ٢٠١١

مطاردة..

مطاردة..

(١)

تحرك أخيراً قطار الثانية المتجه إلى مدينتى المباركة بالسيد البدوى . فكرت وأنا انتظر تحركه فى زوجتى التى فارقتها قبل مرور شهر من زفافنا ، ولم أرها منذ خمسة وأربعين يوماً . سوف التقى بها اليوم بعد وصول القطار . كان لابد من فراق العروسين .. لابد من أن استجيب لأمر استدعائى إلى وحدتى العسكرية التى تزمع تنفيذ عملية تمشيط ومطاردة لجماعات إرهابية مسلحة تنتشر فى كهوف جبل الحلال داخل حدود وطنى..

رغم فداحة الأمر العسكرى وقسوته فإننى امتثلت ، ولا أملك إلا أن أمتثل . صلاح الراعى نقيب الصاعقة يتمتع "بكفاءة عالية وشجاعة فائقة"، كما يصفنى قادة وحدتى، عقب أية عملية تسند إلى وحدة الصاعقة التى ضمونى إليها بعد شهر من تخرجى فى كلية ضباط الاحتياط . كم زهوت بشارة الصاعقة الملونة المثبتة بالذراع اليسرى لبدلتى العسكرية.. كم زهوت كلما زرت مدينتى ومنزل خطيبتى ياسمين الراوى، الملاصق لمنزلنا بشارع كليوبترا.. كانت خطيبتى ياسمين تحدق بإعجاب فى شارتى الملونة: ضباط الصاعقة وجنودها هم رجال المهام الصعبة..

ياسمين جارتى منذ الطفولة . تخرجنا معاً من المعهد التجارى العالى بمدينتى المحبوبة المباركة بالسيد البدوى.. كانت فخورة بى حين خطبتها.. أنهينا مراسم الزواج وأنا برتبة نقيب . أحببت ياسمين الراوى وأحبتنى. "حزنت وبكت ،

حين رأتنى أستعد لمغادرة المنزل. لكنها ما لبثت أن قالت تخفف عنى:

- لا تحزن .

فقلت بأسى ويأس :

- لم يمض شهر على الزواج .

فقالت تسرى عنى :

- سأكون بانتظارك . لا تحزن . لا تحزن .

فقلت بقهر :

- بقى من إجازتى يومان .

فسارعت قائلة :

- لا تحزن يا صلاح .

فبادرت إلى القول :

- أنا غير مطمئن .

فقالت تربت كفى:

- اطمئن . تعاهدنا على أن نكون معاً طول الوقت وطول العمر . اطمئن ولا تحزن" .

لازمتنى صورة وداعى الحميم لزوجتى العروس ياسمين وأنا داخل السيارة العسكرية التى عبرت بنا نفق الشهيد أحمد حمدى لتقطع صحراء سيناء باتجاه جبل الحلال.. ظلت الصورة ترافقنى . ترافق نقيب الصاعقة صلاح الراعى فى كل مهمة أنفذها وأنا أقود جنودى وسط أخطار كهوف الجبال والتلال الرملية العالية ، وتحت ألوان الزمن ودرجاته.. كانت ياسمين الراوى فى عينى طوال خمسة وأربعين يوماً مرت على الوداع الحميم..

(٢)

هاأنا ذا أعود بإجازة لمدة أسبوع إلى مدينتى . بعد أن توقف القطار بالمحطة العريقة رمقتُ اللافتة الكبيرة ، مكتوب فى وسطها بخط كبير "محطة طنطا" . ابتسمت . غادرت

الرصيف . أرى زوجتى ياسمين تقف الآن فى الشرفة تستقبلنى بعد غياب شهر ونصف . استقبلنى الميدان الصغير وبيدى حقيبة صغيرة بها روب أزرق لزوجتى العروس التى فارقتها منذ خمسة وأربعين . اشتريت الروب من محل نسائى بميدان رمسيس بالقاهرة قبل أن أدخل محطة مصر. زوجتى تعلم بحضورى اليوم ؛ فقد أرسلت خطاباً أخبرها فيه بموعد إجازتى ، فبعثتْ إلى بخطاب أخبرتنى فيه أنها فى انتظارى عصر اليوم الأحد ..

سلكت طرقاً فرعية متعددة بدءاً من شارع المديرية دون انتظار لتاكسى أو أوتوبيس، خوفاً من أن يتعطل التاكسى أو الأوتوبيس. أسرعت الخطى بشوارع طه الحكيم ، وسعد الدين ، وكفر عصام قاصداً شارع كليوباترا، وأحياناً أهرول، وأحياناً أجرى دون مراعاة لنظرات العجب الموجهة إلى نقيب الصاعقة بشارته الملونة الآسرة ..

(٣)

حين اقتربت من تقاطع كفر عصام وكليوباترا رأيت أشخاصاً أعرفهم ويعرفوننى . نظروا إلى بوجوم . جلس بعضهم على ناصية الشارع تحت شمس صفراء تجاوزت زمن العصر بقليل ، وجلس آخرون فى ظل حائط منزل يطل على الشارع. ألقيت السلام. رد بعضهم وغمغم البعض الآخر. كانت أصواتهم وغمغماتهم مختفية تحت وجوم مثير للتساؤل. لكن شوقى إلى منزلى جعلنى لا أتوقف ولا أطرح أى سؤال..

قبل أن تتقدم خطوات فى الشارع نهض من بين الجالسين كبير الشارع الحاج رضوان.. اقترب منى واحتضننى ودعانى إلى الجلوس وسط سكان منازل الشارع العشرة. توجست.. ارتبت. حدست أن أمراً كبيراً قد حدث ويريد الحاج رضوان أن يصارحنى به. بادرت إلى السؤال:

- حدث شىء ؟ .. مالكم ؟!

- قلت أخبرك بما جرى قبل أى أحد .

فكررت:

- ماذا حدث ؟!

قال الحاج رضوان وهو مملوء بالحنق والغيظ: هاجمتنا فجر اليوم مجموعة رجال .. هم عصابة غريبة . اقتحمت المنازل نهبت ، وقتلت منا ثلاثة ، وخطفوا ثلاثة أطفال ، وزوجتك . وقال كبيرهم وهو يدخلها والأطفال داخل سيارته تتبعه ثلاث سيارات كبيرة سوداء :

- هى والأطفال معنا ، ونحن بانتظار زوجها الصنديد.

وقال الحاج رضوان:

- مضوا بهدوء وثقة ، وبغير توتر .

رأيتنى أصيح :

- ياسمين .. زوجتى . إلى أين ؟! .

قال العم رضوان :

- تحرينا بعد أن مضوا بزوجتك والأطفال، فعرفنا أنهم يتجمعون فى منزل خلف ربوة بعد قرية غنيمة بالقرب من الطريق السريع.

أضاف الحاج رضوان:

- المنزل محصن بحراس أشداء مسلحين ..

صمت الحاج رضوان لبرهة ثم واصل الكلام :

- ولا يمكن اقتحامه بسهولة . يجب أن تحذر إذا قررت ..

غادرت المكان ، ومضيت فى الشارع قاصداً منزلى ، بينما تتزاحم برأسى أفكار وأفكار يعلوها سؤال : لماذا زوجتى؟! لماذا اختاروا ياسمين دون غيرها من النساء؟! ..

(٤)

تجولت عيناى وبيدى الروب الأزرق فى أرجاء منزلى الخالى من زوجتى ياسمين . بدت فى الغرف الثلاث والصالة والمطبخ والحمام آثار الاقتحام والمطاردة .. عبث الجناة بمحتويات منزلى .. عبثوا بغرفة نومى .. شاهدت ملابسى وملابس زوجتى مبعثرة فوق الأرض.. وفى الزاويا والأركان..

جلست وسط الصالة تحت ضغط الغيظ والقهر والرغبة فى سرعة التصرف . رأيت بخيالى الجناة يطاردون زوجتى العروس من مكان إلى آخر بالمنزل . كيف تهان زوجتى إلى هذه الدرجة ؟! من هؤلاء الأوغاد ؟ ومن أين أتوا ؟ . أخذوها رهينة لاستدراجى.. الآن عرفتهم ماداموا يريدوننى . أعرفهم. لا ينسون أننى قدت عملية تصفية وكر بجبل الحلال بسيناء منذ عشرة أيام.. أسرنا ثلاثة ونحن نقتحم الوكر ، بينما صرعنا منهم خمسة .. وصادرنا مجموعة كبيرة من الأسلحة المختلفة الأنواع والأحجام .. ودمرنا الوكر بعد خروجنا منه.. شاع خبر نجاح العملية وتدمير الوكر بعد ساعات قليلة . تحدث أهل العريش عن نجاح عملية الصاعقة الخاطفة التى قادها النقيب صلاح الراعى؛ فلهم قريب من الأسرى توعدنى بنظرات عينيه وبتمتمة شفتيه. أحسست أنه سيوقع بى الضرر عن طريق بعض من تمكنوا من الهروب فى كهوف جبل الحلال . لم أظن أن الرد سيكون بهذه السرعة..

أعرف أنهم جاءوا من مسافة بعيدة إلى مدينتى المباركة للانتقام. تأكدت الآن أنهم يريدوننى . لا وقت لدى لإخبار وحدتى.. لا يمكن الانتظار. علىّ أن أتحرك وأنا استدعى جميع مهاراتى لتخليص ياسمين والأطفال .. اصطحبت معى مسدسى كاتم الصوت الذى يلازمنى دائماً ..

(٥)

كَمنْتُ فى حقل خلف المنزل وراء شجرة تشرف علىّ حتى منتصف الليل .. جعلت أفكر بينما كان ضوء القمر ينير سطح المنزل وأمامه، وخلفه . لاحظت شخصين فوق السطح. ورأيت أربعة. اثنان أمام المنزل واثنان خلفه. خرجت من الحقل بهدوء وخفة وسرعة.. بدأت فى اصطياد الحراس الأربعة بسرعة البرق فسقطوا فى صمت. أصابتهم الرصاصات الأربع فى رؤوسهم من بعيد ، فلم يخرج منهم صوت.. عدت بسرعة إلى الشجرة المشرفة على المنزل.

تسلقتها بخفة فهد جامح ثم وثبت على جانب من السطح.. صرعت برصاصتين حارسى السطح فى لحظات، الواحد تلو الآخر..

هبطت السلم بسرعة الفهد وخفته .. فى لحظات كنت أمام باب المنزل المغلق الذى انفتح فجأة .. مضت دقائق .. ثم رأيتنى أواجه الزعيم وخلفه ياسمين والأطفال. حذرنى من الاقتراب، وتوعدنى لو حاولت أن أخلصها والأطفال الثلاثة قال:

- ستكون معى والأطفال حتى أخرج من المدينة لأضمن سلامتى.

فكرت فى أننى لا يمكن المغامرة الآن حتى لا يقتل ياسمين والأطفال . قلت فى نفسى : على أن انتظر اللحظة المناسبة لأنقض على الزعيم الذى أسر زوجتى والأطفال ، ويحتمى بهم الآن . أبديت موافقتى على طلبه قائلاً :

- لكن سأكون قريباً وأنت تغادر المدينة .

نظر إلى بغيظ وبعينين تحملان الحقد والمقت والكراهية، وقال :

- فتحت على نفسك أبواب جهنم عندما اقتحمت كهف الحلال .

فعقبت قائلاً:

- هل تعتقد أنك ستنجو بفعلتك . قتلت من جيرانى ثلاثة رجال وخطفت ثلاثة أطفال وخطفت زوجتى. كل هذا لترد على عملية كهف الحلال .. العملية مشروعة لأننى أحمى الوطن . كيف تعبث بوطنى وأنت مصرى ؟ كيف تعبث بحدود وطنى ؟! ..

فقال بصوت مزمجر:

- تأكد أنك لو نلت منى سوف يأتى آخر وآخر للانتقام. اعلم أنك باقتحامك كهف الحلال فتحت على نفسك وعلى جيشك أبواب جهنم . سوف نثأر منك لقتلانا الخمسة . نحن نخضع لفكر مغاير لفكركم ..

فكرت فى أننى يجب أن أتمهل قليلاً قبل أن اتخذ أى إجراء لتخليص ياسمين والأطفال .. كان الأطفال يصرخون وكانت ياسمين فى حالة إعياء شديد ؛ فكان على أن احتاط وأحذر فى تنفيذ ما أفكر فيه . قلت لنفسى : على أن انتظر لأنتهز الفرصة وأنفذ ما أفكر فيه . ما أن وصل إلى سيارته الكبيرة حتى وثبت بخفة فهد تجاهه دون تفكير فى سلاحه المصوب إلى ..

ساق الزعيم أمامه الأطفال وزوجتى . جميع الأيادى مقيدة بالحبال . دفعهم جميعاً إلى داخل السيارة السوداء الكبيرة، ثم صعد وأدار المحرك، ثم بدأ فى التحرك بهم قاصداً مخرج المدينة. تلازمه سيارتان .. أسرع بالسيارة فأسرعت بدورى خلفها. وكلما زادت سرعة سيارته زدت من الجرى خلفها قائلاً لنفسى : سوف استمر فى الجرى ولن أتوقف عن المطاردة..

يناير ٢٠١٣

الفهـــرس

الفهـــــرس

م	عنوان القصة	الصفحة	تاريخ الكتابة
١	القناع ..	٩	فبراير ٢٠٠٧
٢	اغتيال ..	٢٥	مارس ٢٠٠٨
٣	زلزال .. أريده..	٣٩	فبراير ٢٠٠٩
٤	الوقوف على الحافة..	٥١	سبتمبر ٢٠٠٩
٥	ضوء فى آخر النفق ..	٦٥	يناير ٢٠١٠
٦	اختراق السور ..	٧٥	أكتوبر ٢٠١٠
٧	فى الميـــــدان ..	٨٩	نوفمبر ٢٠١١
٨	مطاردة..	١٠١	يناير ٢٠١٣

كتب أخرى للمؤلف

قصص وروايات للمؤلف

أولاً: المجموعات القصصية:

- **الجرح:** مجموعة قصصية، ط (١) لجنة النشر للجامعيين، ١٩٧١، ط (٢)، الأنجلو المصرية-القاهرة. ١٩٩١، ط(٣) دار الإبداع ٢٠٠٨.
- **الكلام:** مجموعة قصصية، ط(١) دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١، ط(٢) الآداب-القاهرة. ١٩٩١. ط(٣) دار الإبداع ٢٠٠٨.
- **أمواج الفردوس:** مجموعة قصصية. ط(١) الأنجلو المصرية-القاهرة ٢٠٠٥، ط(٢) دار الإبداع ٢٠٠٩.
- **يوم:** قصص، ط(١) أجيال- الجيزة. ٢٠٠٨.
- **فى الميدان:** بورصة الكتب، القاهرة . تحت الطبع.
- **الصياح فى الوديان:** ط١ ، بورصة الكتب . القاهرة ، ٢٠١٣.
- **لم ينج أحد!:** بورصة الكتب ، (تحت الطبع) .

ب- الروايات:

- **سلوى الروح:** ط(١) ، مكتبة صقر ، طنطا ، ١٩٦٠ ، ط(٢)، دار الإبداع، ٢٠٠٧.
- **العائد بالحب:** ط(١) دار الإبداع- القاهرة، ٢٠٠٦، ط(٢) أجيال – الجيزة، ٢٠٠٨.
- **فوق الأحزان:** ط(١) دار الإبداع- القاهرة، ٢٠٠٨، (ط٢) إيزيس ٢٠١٢.
- **صخب الهمس:** (ط١) دار الإبداع – القاهرة، ٢٠٠٩، (ط٢) بورصة الكتب ، القاهرة ، ٢٠١١.
- **حدائق الخريف:** ط(١) ، بورصة الكتب ، القاهرة ، ٢٠١٢ .
- **تحت الأحزان:** ط(١) ، بورصة الكتب ، القاهرة ، ٢٠١٣ .

ثانياً: الكتب :

١. فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ. ط(١) مكتبة أم القرى، الكويت، ١٩٨٤، ط(٢) الأنجلو المصرية ١٩٨٨.

٢. في البلاغة العربية (علم البيان). ط (١)، الأنجلو المصرية ١٩٨٨.

٣. قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم. الأنجلو المصرية ١٩٨٩ .

٤. تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي. الأنجلو المصرية ١٩٨٩ .

٥. في البلاغة العربية (علم المعاني). ط (١)، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١.

٦. مقاييس الحكم الموجز في الموروث النقدي. الأنجلو المصرية ١٩٩١، ط ٢ ، بورصة الكتب ودار السياب بلندن ٢٠١١.

٧. الخطاب النفسي في النقد العربي القديم، ط(١) ١٩٩٣ مكتبة الأنجلو المصرية، ط(٢) ٢٠٠١ مكتبة الآداب، ط(٣)، مكتبة الآداب ٢٠٠٦، ط(٤) بورصة الكتب ودار السياب بلندن.

٨. فاعلية التعاقب في الشعر العربي الحديث. الأنجلو المصرية ١٩٩٥.

٩. جدلية الأداء التبادلي في الشعر العربي المعاصر. ط(١) مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥، ط(٢)، الانجلو المصرية ١٩٩٩.

١٠. الصنعة الفنية في التراث النقدي. ط (١)، مركز الحضارة العربية ١٩٩٩.

١١. طاقات الشعر في التراث النقدي. ط(١) الأنجلو المصرية ١٩٩٩، وط٢ مكتبة الآداب، ٢٠٠٧ .

١٢. إحكام النص الشعري في الموروث النقدي والبلاغي. ط(١) الأنجلو المصرية ٢٠٠٠.

١٣. نظرية الإبداع الشعري عند النواجي. ط (١)، الأنجلو المصرية ٢٠٠٠.

١٤.تجليات الإبداع الأدبي: دراسات في الشعر والقصة والمسرحية. ط(١) مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٢.

١٥.أساليب علم المعاني بين النظرية والتطبيق. ط (١)، مكتبة الآداب ٢٠٠٣ .

١٦.الفنون البيانية والبديعية بين النظرية والتطبيق. ط (١)، مكتبة الآداب ٢٠٠٣.

١٧.النثر الفني في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي. ط (١)، الأنجلو المصرية ٢٠٠٣.

١٨.الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي. ط (١)، الأنجلو المصرية ٢٠٠٣.

١٩.البنيات الكاشفة عند نجيب محفوظ دراسات في النص القصصي من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٩٦. الأنجلو المصرية ٢٠٠٤ .

٢٠.مرايا التجلي : رؤى نقدية كاشفة.ط(١) الأنجلو المصرية ٢٠٠٥ .

٢١.فيض القلم: مقالات فى الثقافة والأدب. ط١، الأنجلو المصرية ٢٠٠٥.

٢٢.نجيب محفوظ حالما بالقمر. ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٦.

٢٣.الأداء التبادلى فى الشعر العربى ، مكتبة الآداب ، ط(١) ، ٢٠١٠ .

٢٤.لعبة الضمائر فى قصص وروايات نجيب محفوظ ، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١١.

٢٥.تقنيات السرد الشعرى فى الشعر العربى الحديث : ط(١) ، بورصة الكتب ، القاهرة ، ٢٠١٣ .

٢٦.الخطاب الرئاسى فى الأدب العربى ، مكتبة بورصة الكتب ، ٢٠١٣.

٢٧.الرسالة الرئاسية فى الأدب العربى ، مكتبة بورصة الكتب ، ٢٠١٣ .

عن المؤلف:

١- تجليات الفن القصصى عند حسن البندارى : دراسات نقدية لعدد من النقاد ، ط(١) ، دار الإبداع ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ط(٢) دار الإبداع ، ٢٠١٠ .

٢- آفاق الإبداع الروائى عند حسن البندارى : دراسات نقدية لعدد من النقاد ، ط(١) ، دار الإبداع ، القاهرة ، ٢٠١٠ .